

العيافة عند عوام العراق

Les Augures chez les Irâquiens.

—٢—

٢— عيافة الطيور

الغراب

هو طائر مشؤوم في نظر العامة، فإذا نطق قالت النساء : « خير يكون وشر يزول ». والف صلوة على الرسول، ان حنت غراب، طم نفسك بالتراب، وان حنت بشير، ذبه من جناحك وطير « أي » عسى ان الخير يكون والشر يزول، والف صلوة على الرسول، ان كنت غرابا فادفن نفسك في التراب، وان كنت بشيرا فارم بشارتك من جناحك وطير « .
والعامة تعد قول من يقول احنهم للاخر : « انت غراب » شتما ومن اعنّب ما قاله الشاعر :

« ما غراب البين إلا ناقة أو جل »

لأنهم يمدون الغراب مفرقا للاجباب .

المنق

طائر يشبه الغراب الأبقع طويل الذنب إلا انه لا يتشام منه، وإذا صاح قالت النساء « خير خير » وينظرن قدوم ضيوف .

البازي

طائر مشهور يضرب به المثل في الشجاعة . ومن عادته ان يقوم من وكره قبل انبلاج الفجر وإلى ذلك اشار بشار بن برد الشاعر الأعشى الشهير من قصيدة له في مدح خالد بن عيسى البرمكي :

إذا انكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي علي سواد

والخراقيون من الرجال يمتقدون ان من يصادف البازي في سفرته يصادف اقبالا ونجاحا عظيما .

الصقر

طائر مشهور يضرب به المثل في الشجاعة والاقدام فيقال «فلان كالصقر»
والعامية تقول «فلان صكرهم» اي «فلان صقر أعدائه» إشارة الى انه
لمعهم او تسلط عليهم لان انواع الطيور اذا سمعت صوت الصقر أو رآته
لبنت في الأرض وارتعبت خوفا منه . والعامية تعتقد ان الذي يجني الصقر عشر
سنوات لا يهرب خلالها من بيته يلاقي بعد ذلك فرحا وحبورا في دنياه .

الططوة «اي الطيطوى» (١)

الططوة طوشر يسميه الفرس وسكنة كربلا «بي بي ديلم» اي «ياسيديتي
رايت» ويسميه اهل البادية «بلبل الزور» وصوت هذا الطوشر نغم شجي
فاذا مر ليلا على البيوت قال سكانه «سيتقدم غائبنا» ومن يقول في العراق للاخر
«عقلت عقل الططوة» فانه يقضيه لانه يعد هذا الكلام من الشتم .

يا كريم

طائر جميل يسميه البعض «القمري» والبعض «يا كريم» لتقنيه بشيء
على وزن «يا كريم» وفي معتقد النساء انه لا يجوز ان يجلس هذا الطوشر لانه
يسح إله؟! ولذا يتشائمون باقتنائه وهذا الطائر اسمه عند العلماء Turtur
Risorius.

البرهان

طائر ذو ساقين دقيقتين طويلتين والنساء يتشائمون به لانه كالاقارع اذ ليس
على رأسه إلا ريش ناعم دقيق ويعتقدن ان من رآه عند الصباح يرى شؤما ومنكرا
ويعرف عند الاقرنج باسم Agami .

المصفر

محبوب من الجميع والنساء يتفان به خيرا ويعتقدن انه اذا اجتمع المصافير
وتناقرت ثم تفرق جميعهم وسقط احدها على رأس احد سكان البيت أصابه خير
عظيم وقدم اليه غائب .

(١) الططوة وردت عند العراقيين بعدد معان: منها معنى الطوشر السنني بالفرنسية
Bouvreuil وهو المبحوث عنه هنا ومنها بمعنى Chevalier وبالانكليزية Sand-Piper
وبهذا المعنى يعرفه الاعراب وهو تحريف الطيطوى الكلمة الفصحى ، ومنها معان اخرى
تختلف باختلاف الديار والعشائر . (لغة العرب)

وهناك مثل شائع على افواه العوام «زعل المصفور على بيدر الدخن زاد الف طغار» اي غضب المصفور على بيدر الدخن فزاد الف تغار «والتيغار يختلف اليوم قدره بين الف و ١٥٤٠ كيلغراما» يقال ذلك للحقير إذا غضب فانه يوفر على القوم طماره.
الديك

يحب النساء الديك الابيض الاقرق ويعتقدن انه احد جنود ديك العرش . وهذا الديك مقامه في السماء السابعة تحت عرش الله وهو الذي يهبه الملائكة ليصلوا صلاتهم في الاوقات الخمسة . كما انه يطرد الجن من المكان الذي يكون فيه ويعتقدن ايضا ان صياحه اذان وان اذن في غير اوقاته للمعلومة قلن انه (يد يمن) اي شؤم والفرس يسمونه (خروس بي محل) اي الديك الذي يصرخ في غير اوانه ويذكرونه عندهم لمن يتكلم في غير اوانه وعلى هذا فاما يتدبح واما يتخلص منه بالبيع او بوسيلة اخرى .

واذا خرجت الذملة المعروفة «بالاخت» عند العراقيين في وجه الطفل او في بدلاو في محل آخر تأخذ المرأة غشاء كبد الديك وتحرقه ثم تمزجه بزبد البقر وتضعه على «الاخت» معتقدة ان هذا المزيج يزيلها . ويزعمن ايضا انه اذا احترق رجل الديك مع الشعير ووضع هذا الخليط على المكان المحروق من الجسد يبرأ باذن الله .

واذا علفت سبع ريشات من الديك الابيض عند رأس الطفل ولي الشيطان عنه .
الدجاجة

الدجاجة السوداء التي ليس في ريشها ريشة بيضاء تكون ذات قيمة لدى النساء فقد ينالكن على اقتنائها للحصول على بيضتها التي يستعملنها لوجع الرأس ، والسن . وللطفل - اذا « اخترع » (اي قزع فزعا فجائيا) ، فعدئذ تكسر البيضة في المحل الذي خاف فيه الطفل ، أو تدفن مع مسمار وكمب « عظم » وقلنس احمر لينهب عنه رعبه ويعود اليه روعه !

ويتقاه النساء بالدجاجة التي تبسط جناحها فتبطلح في الشمس ؛ فانهن يقلن « خمت الدجاجة » ويعتقدن ان غائبا سيحضر واذا خرجت ريشة واحدة من موضعها قلن : « سيفت الدجاجة » «من باب التفعيل» واعتقدن انه ميقدم لهم ضيف فارس شاكبي السلاح .

اليوم

هو طائر جميل الشكل عند اناس ، قبيح الصورة عند آخرين وهو يختفي في النهار ويظهر في الليل . والعامة تعتقد فيه الشؤم والشر : والليل على ذلك انهم يقول احدهم للآخر : « انت بومة » او « وجهك وجه البومة » او (بومة الديار) او (بومة الخرائب) شتما وسبابا . ومن عادتهم اذا صرخ هنأ الطائر ليلا ومر على السيوت صفقوا بايديهم مرات وصرخوا قائلاين : « مكين وملح » . وبعضهم يعتقد ان في صياحه إشارة الى ان غائبا يحضر عند اهله وهناك اسطورة شائعة على اقوال الدوام ، منزاها : ان اليوم هو الذي جعل « كسرى » يكون عادلا : بعد ان كان ظلما سفاكا للنساء .

وهذه الحكاية ينقلها الرجال الخرافيون والعجائز الخرافيات وهي : كان اجد الاكسرة ظلما فساكا يرناح الى سفك النساء وازهاق الارواح وكان له وزير وهبه الله حظا وافرا من العقل والفطنة والتدبير فأرق كسرى ذات ليلة ارقا شديدا وكان الوزير يتمشى معه على سطح القصر ويقص عليه اخبار الاولين ووقائع الاقسين فوقف كسرى بفتة محولا نظره الى الجنة المحيطة بقصره وقال للوزير : ألا تسمع صراخ هاتين البومتين ؟ فقال له الوزير : بلى . فقال ليشتي اعلم ما تقولان فقال الوزير : اني اعرف منطلق الطير وقد فهمت الحوار الذي دار بينهما ، إلا اني اخشى ان اتقصه على الملك لئلا يسخط علي ويغضب . فقال له كسرى : قل ، ولك الامان .

فقال الوزير : ان احدى هاتين البومتين خاطبت صاحبتها قائلة : اني اريد ان اتخذ ابنتك زوجا لابني فقالت لها الاخرى : انتي راضية بما تقولين ولكنني اريد سبعة بيوت خربة مهرا لابنتي فاجابتها رفيقتها : « ما طول كسرى كسرى ما تعمر ديار » اي ما دام كسرى في قيد الحياة فلا تعمر ديار اي خذي ما شئت لابنتك من البيوت الخربة .

وتعتقد العامة ان الوزير اراد است يفهم الملك ظلمه وسوء سلوكه على لسان الطير . فاعتبر الملك بكلام الوزير وهجر الظلم والعسف وعدل عنه منذ ذلك اليوم ورأف بالناس ورحمهم وقد اصبحت كلمة « ما طول كسرى كسرى ما تعمر

ديار « مثلاً شهيراً يتحلل به العوام من الناس :
« ما طول كسرى كسرى يا ويلها من الخراب »

٣ - الزواحف

الحية

إذا ظهرت الحية في بيت أحد يوم السبت قالت النساء : انها يهودية ،
وعندئذ تقف صاحبة البيت وتقول : « سايمين عليج موسى بن عمران اطلعي
من بيتنا » اي « نقسم عليك بالنبي موسى بن عمران ان تخرجي من دارنا » .
واذا ظهرت يوم الأحد قالوا انها نصرانية فيبدل القسم بميسى بن مريم .
اما اذا ظهرت يوم الجمعة او في سائر الايام الاخرى قالوا انها مسلعة
وفي هذه الحال يضمنون في المكان الذي خرجت منه ماء وملحاً في اناه ويقولون :
« اكلت من زادنا وملحنا » وانها لا تقصد بعد ذلك ايذاءنا .

والحية التي تظهر دائماً في البيت لا تقتل ، وتسمى « حية البيت » ولها
اسطورة عجيبة تقصها المجازر الخرافات وهي :

يقال ان امرأة ذات ولد ذهبت يوماً الى الحمام بعد ان وضعت ابنها في
المهد (١) ولما ابطأت في الحمام طفق الولد يبكي ويصرخ ولما جاءت الى بيتها
سمعت في غرفتها صوت امرأة تغني لابنها وتقول : « لول لول (٢) يا ابن
جويرتي لا لي ايدين الارفك ، ولا لي رجلين الارفك » ، ولا لي دويس
الارضك ، واخاف احبك (٣) والسمع وتزعج علي جويرتي . لول لول يا
ابن جويرتي . « ومعناه : نم يا ابن جارتني ، لا يدين لي لارفك بهما ولا
رجلين لارفك بهما اي لاهز مهادك بهما ولا ندي لي لارضك واخاف ان اقبلك
فالسمعك فتغضب علي جارتني . نم يا ابن جارتني » .

فاما دخلت المرأة على ابنها ، رأت الحية بجانب المهد ، وللحل اختفت الحية
عن انظار المرأة فاعتقدت ام الولد بان هذه الحية من الجان وانها مسلعة ولا
تقصد الايذاء بل السكنى في البيت فاطلق عليها اسم حية البيت . وهناك اسطورة

(١) المهد يسمى بلغة العوام (كروك) . (٢) لول لول اغنية النساء عند هزل المهد .

(٣) النبلة بلغة العوام حية وحبه : قبله .

اخرى حدثني بها احد الشيوخ الخرافيين قال : كان في الحلة الفصحاء رجل فقير مملق وكان ذا عيال والدمر عابسا في وجهه . فصمم ذات يوم على ان يشد الرحال الى بيت الله الحرام وان يزور به ذلك الرسول الاعظم ليشكوا له فقره . فذهب مع الراكب راجلا ولما وصلوا الى منتصف الطريق نام الراكب ليلته طلبا للراحة ، ولما كانت الصباح استيقظ الرجل فدهش حين شاهد حية طويلة عظيمة ملتفة حوله . وكان للرجل بندقيته ولما تعمل للوثوب اشارت اليه الحية ان يتبعها فتبعها حتى وصلا الى كهف فاشارت اليها الحية بالدخول ، فدخل : فشاهد عذريا عظيما يتحفز للوثوب على حبات صغيرة . فلم الرجل ان هذه الحية جاءت تستجد به لينقذ فراخها من هذا العقرب فصوب الرجل بندقيته الى العقرب فقتله ففرحت الحية ورفعت رأسها اليها شاكرة ثم ضربت بذنبها على الارض مشيرة اليها بالحفر فصفر الرجل وعثر على بستوفته (جرة مدعونة الباطل والخارج) مملوءة ذهبا فحملها وجاء بها الى بيت الله شاكرا وزار الرسول مسرورا ورجع الى بلده فقص على وطنيه هذه الواقعة فسموا منذ ذلك اليوم « بيت ابو حية » .

وهناك اساطير وخرافات اخرى يضيق بنا المقام عن ذكرها ومن امثال العوام « لسان الحلو يطلع الحية من الزاغور » اي « الكلام الطيب يخرج الحية من الثقب » ومنها : « حياية الحية ما تخلص » اي « حديث الحية لا ينتهي » لانها كلما ذكر احد منهم شيئا منه زاد الاخر حديثا جديدا . ومنها « الحية وراك » يقال لمن تنم كلماته ونظراته عن حسد وتقواها العلامة كثيرا اذا شاهدت القرد فيقولون : « شادي وراك الحية » . (والشادي هو القرد عند العراقيين) وقد استظهرت وانا صغير دعاء من قم احدى الخرافيات المرحومة « الملائكة جدعة » وكانت مهنتها قراءة ما تم الحسن . وهو :

اعوذ برب السما والسهية ، من كل شر عقرب ورتيل وحية ، شجع قرني شجع قرني شجع قرني ، يا نوح يا نوح يا نوح ، سلام على نوح في العالمين ، سلام على طه وياسين .

وكنيت قد سألها ما السما والسهية وما شجع قرني ؟! فقالت ان السما والسهية نجمان في السماء يرصدان الحيات والعقارب ، واما شجع قرني فانه

شيخ الحيات والمقارب ، ونحن نقرأ هذا الدعاء لينقذنا من شر الهوام ؟
ويقتال المسافر اذا صادف حية عند سفره ومن امثالهم « لو كتلت الحية
اسحك رأسها » اي ان قتلت الحية اسحق رأسها ، لانهم يعتقدون كما يعتقد
العلماء انها لا تموت ما لم يسحق رأسها والى هذا المعنى اشار الشاعر :
لا تقطن ذنب الانمي وتركها ان كنت شهما فالحق رأسها الفنيا

٤ - الحشرات

المقرب

قتلها أجر (ثواب) ومن قتلها فكأنما قتل كافرا ؟ ! ويضرب بها المثل في
اللؤم . فيقال : فلان عقرب اصفر والفرس يعتقدون انها لثيمة ومؤذية .

الزيتور

من يقتله لم تمره في الجنة !

٥ - النباتات

الاشجار

شجرة النبق او السدر

والعوام يسمونها (نيكته) بالكاف الفارسية والنساء وبعض الرجال يعتقدون
ان هذه الشجرة (مسكونة) اي يأوي اليها الجان ولذلك تعجم العامة عن قلمها
واذا طالت اغصانها فيكتفون بتزويرها فقط وقد جاء عنها في الحديث :
« قاطع السدر ملعون » والاصل فيه منع قطع السدر التي يأوي اليها الناس اثناء
اسفارهم ولكن الجبل عمها لكل السدر .

الخروع

يشاهم النساء بزرع الخروع في البيوت لانها (بد يمن) اي مشؤومة .

الدفل

يحبون زرعها في فناء البيت لطرد الشر ومقاومة (النفس) و (العين
الصائبة) .

الكرم

يفرسونها في البيوت لان عرقه اصيل ولان فيمسرا يحرس البين والبنات إلا
انه لا يصح ان يتصلوا بالغيب كخيرات لارواح الاموات لان مصيرهم المصيرة .

